

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ [مريم: 18]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

اللَّجُوءُ إِلَى اللَّهِ
أَمَانٌ لِلْخَائِفِينَ

بعد أن ذكرت الآية السابقة أَنَّ اللَّهَ تعالى أرسل جبريلَ ﷺ لمريم في خَلُوتِهَا، وَأَنَّهُ قد تَمَثَّلَ لها بصورة بشرٍ سويٍّ، تَامَّ الْخَلْقَةَ، حَسَنِ الْهَيْئَةِ، جاءت هذه الآية لَتَقْصَّ ما قالته له حينئذٍ، وما دار بينهما من محاورَةٍ ومناقشةٍ، بعد أن رآته وفَزَعَتْ منه استعاذت بالله تعالى، وقالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾. إِنِّي أَسْتَجِيرُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا⁽¹⁾.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَعُوذُ﴾: (عوذ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ الْإِلْتِجَاءُ إِلَى الشَّيْءِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ لَصِقَ بِشَيْءٍ أَوْ لَازَمَهُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ: أَلْجَأُ إِلَيْهِ⁽²⁾، وَالْعَوُذُ: الْإِلْتِجَاءُ إِلَى الْغَيْرِ وَالتَّعَلُّقُ بِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: 67]، وقوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: 79]، أَي: نَلْتَجِئُ إِلَيْهِ وَنَسْتَنْصِرُ بِهِ أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ سُوءٌ نَتَحَاشَى مِنْ تَعَاطِيهِ⁽³⁾، عَادَ بِهِ يَعُوذُ عَوْذًا وَعِيَاذًا وَمَعَاذًا: لَازَ بِهِ وَلَجَأَ إِلَيْهِ وَاعْتَصَمَ، وَاللَّهُ ﷻ مَعَاذٌ مَنْ عَادَ بِهِ، وَمَلْجَأٌ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ، وَهُوَ عِيَاذِي، أَي: مَلَجَيْتِي، وَعُدْتُ بِفُلَانٍ وَاسْتَعَدْتُ بِهِ، أَي: لَجَأْتُ إِلَيْهِ⁽⁴⁾.

(2) ﴿تَقِيًّا﴾: (وقى) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى دَفْعِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بغيره، والوقاية: ما يقي الشَّيْءَ، وَاتَّقَى اللَّهَ، أَي: اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ كَالْوَقَايَةِ،

(1) اللراغي، تفسير اللراغي: 41/ 16 - 42، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 24/ 9.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عوذ).

(3) الرَّاغِب، المفردات: (عوذ).

(4) ابن منظور، لسان العرب: (عوذ).

وَأَتَّقِيَّتْ الشَّيْءَ: حَذَرَتْهُ، وَالْأَسْمَ التَّقْوَى، وَالتَّقْوَى: جَعَلَ النَّفْسَ فِي وَقَايَةٍ مِمَّا يُخَافُ، وَفِي تَعَارُفِ الشَّرْعِ: حَفَظَ النَّفْسَ عَمَّا يُؤْثِمُ، وَذَلِكَ بِتَرْكِ الْمُحْظُورِ⁽¹⁾.

✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

بَيَّنَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَنَّ الْمَلَكَ الْكَرِيمَ لَمَّا تَبَدَّى لِمَرْيَمَ بِصُورَةِ الْبَشَرِ، وَهِيَ مُنْفَرِدَةٌ فِي خَلْقِهَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمُحْتَجِبِ عَنْ أَهْلِهَا وَالنَّاسِ، قَدْ اعْتَرَاهَا الْخَوْفُ وَالْهَلَعُ، فَقَالَتْ مُسْتَجِيرَةً بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ أَي: إِنِّي أَسْتَجِيرُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ، أَنْ تَتَأَنَّى بِسُوءٍ إِنْ كُنْتُ مِمَّنْ يَتَّقِي اللَّهَ⁽²⁾.

✽ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

دَلَالَةُ فَضْلِ هَذِهِ الْآيَةِ عَمَّا قَبْلَهَا:

فَصَلَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ جُمْلَةً: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ عَمَّا قَبْلَهَا لِأَنَّهَا مُسْتَأْنَفَةٌ، جِيءَ بِهَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى شِدَّةِ حَزْمِهَا، وَإِخْلَاصِ عِبَادَتِهَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَصَدَقَ تَجَرُّدُهَا لَهُ، وَالتَّجَافُؤُهَا إِلَيْهِ، بِحَيْثُ إِنَّهَا عِنْدَ دَهَمِ الْخُطُوبِ لَا تَرَكَّنَ إِلَى سِوَاهِ⁽³⁾.

دَلَالَةُ التَّأْكِيدِ بـ: ﴿إِنِّي﴾:

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ عَنْ تَأْكِيدِ مَقُولَتِهَا بِتَصْدِيرِهَا الْجُمْلَةَ بِـ ﴿إِنِّي﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾؛ لِأَنَّ الْمَلَكَ لَمَّا تَمَثَّلَ لَهَا بِصُورَةِ بَشَرٍ سَوِيٍّ حَسَنِ الْخَلْقَةِ، وَكَانَ عَلَى أَنْهَى مَا يَكُونُ مِنَ الْجَمَالِ وَالْخِلَالِ الصَّالِحَةِ وَالْكَمَالِ، فَكَانَ بِحَيْثُ يُسْتَبْعَدُ غَايَةَ الْاسْتِبْعَادِ أَنْ يُتَعَوَّذَ مِنْهُ، أَكَّدَتْ فَقَالَتْ: ﴿إِنِّي أَعُوذُ

اللَّجُوءُ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى حَالِ دَهَمِ
الْخَوْفِ

قُوَّةُ الْإِيمَانِ
تُظْهِرُ سَاعَةَ
الْوَاجِهِةِ

الِاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ
إِعْلَانٌ بَعْدَ
الْمُبَالَاةِ بِمَنْ رَأَتْهُ

(1) ابْنُ فَارَسٍ، مَقَابِيسُ اللَّغَةِ، وَالتَّزَايُفُ، لِلْفُرْدَاتِ، وَالْفِرُوزِآبَادِيُّ، الْبَصَائِرُ: (وَقَى).

(2) الرَّاغِي، تَفْسِيرُ الرَّاغِي: 42 / 16، وَجَمَاعَةُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، التَّفْسِيرُ لِلْبَيْسَرِ: 1 / 306.

(3) الْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدَّرَرِ: 183 / 12.

بِالرَّحْمَنِ»⁽¹⁾، فألقت استعاذتها على وجه التأكيد؛ تعبيراً عن عدم اهتمامها بمن رأت، وعدم نظرها لحاله وحسن خلقته.

سِرّ التعبير بالمضارع:

أوثر التعبير بالمضارع: ﴿أَعُوذُ﴾ دون الماضي (عدت)؛ للدلالة على تصوير حالة الخوف التي كانت عليها مريم لحظة تمثّل الملك بشراً سوياً وهي منفردة في خلوتها.

سِرّ التعبير بـ: ﴿أَعُوذُ﴾:

آثر النظم الكريم التعبير بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾؛ للدلالة على الاستعاذة بالله تعالى في الحال، لحاجتها إلى ذلك ثم، "أي: أعتصم به منك، إنّما خافتُه لانفرادها في خلوتها، وظنّها أنّه يريدّها على نفسها، وفي ذلك من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه"⁽²⁾.

ومما يُذكر في سِرّ التعبير بالفعل ﴿أَعُوذُ﴾ دون (أستعيز) أنّ لفظ ﴿أَعُوذُ﴾ من صيغ الإنشاء؛ أي: إنشاء طلب العوذ، بخلاف لفظ (أستعيز)، فإنّه أخفى في إنشاء الطلب، ولأنّ التعبير بالفعل ﴿أَعُوذُ﴾ يأتي من باب الامتثال للمطلب الربانيّ عندما يُصاب الإنسان بالهلع والفرع، أن يتعوذ بالله امتثالاً لأمر الله له بقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [المؤمنون: 97]، وهذا ما فعلته مريم ﷺ عندما تمثّل لها الملك بشراً سوياً⁽³⁾.

سِرّ استعاذتها بصفة الرحمن:

بيّن النظم الجليل أنّها ﷺ استعاذت بصفة الرحمن في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيّاً﴾؛ لأنها أكثر

تصوير حالة
الخوف التي
كانت عليها
مريم لحظة
تمثّل الملك

ذُكِرَ الله جارٍ
على لسان أهل
الصلاح في كلّ
حال

استجداب آثار
الرحمة في دفع
ما تعرّض له

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12 / 184.

(2) القاسمي، محاسن التأويل: 7 / 89.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14 / 276.

ما عهدت من الله تعالى رحمته وعطفه ولطفه بها، أي: أعوذ بـ "ربي الذي رحمته عامة لجميع عباده في الدنيا والآخرة، وله بنا خصوصية في إسباغ الرحمة وإتمام النعمة"⁽¹⁾، فهو إشارة لما اعتادت عليه من رحمة الله تعالى بها، فعطفت على تلك الرحمة، التي سبق وأن حفتها ورعتها.

وفيه إشارة للمبالغة في اللجوء والاعتصام به، واستجلاب آثار الرحمة الخاصة في عصمتها مما دهمها، ولأنها أرادت أن يرحمها الله بدفع من حسبته داعراً عليها.

سِرُّ تقديم المستعاذ به على المستعاذ منه:

قدّم النظم الجليل المستعاذ به ﴿بِالرَّحْمَنِ﴾، على المستعاذ منه ﴿مِنْكَ﴾، في قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾ على ما جرت عليه العادة في الاستعاذة، كما في صيغة الاستعاذة: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، وكقوله تعالى: ﴿أَعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36]؛ وذلك تقديمًا لذكر من يُلاذ به ويُحتَمَى به لأنه الأهم؛ تعجيلًا لطلب الأمان في مواجهة الخطر، وما يخاف منه بالله تعالى؛ إذ لا يخاف من كان الله تعالى سندًا له وملاذًا، وفيه من الأدب الرفيع مع الله تعالى، إذ لا يُقدّم الخطر والمستعاذ منه على ذكره.

سِرُّ التعبير بـ ﴿إِنْ﴾ الشرطية:

عبر النظم الجليل بحرف الشرط ﴿إِنْ﴾ دون (إذا) في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنْ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا﴾، وهو دالٌّ على الشك، وجيء به هنا قصدًا لتهييج خشيته⁽²⁾؛ حثًا له على إظهار تقواه، وردًا على اتّهامها إيّاه، وشكّها فيه.

اللّجوء إلى
جناب الجليل
يُغني عمن
سواه

التعبير بالنشك
فيه حث على
إظهار تقواه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12 / 184.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16 / 81.

دلالة التعبير بفعل الكينونة ﴿كُنْتَ﴾:

فعلُ الكينونة
يَدُلُّ على أنَّ
الصفة راسخة
في الموصوف

عبر النظم الجليل عن اتصافه بالتقوى بفعل الكون في قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾؛ حثاً من مريم ﷺ على إظهار هذه التقوى، وهذا أبلغ في الوعظ والتذكير، والدعوة إلى العمل بتقواه⁽¹⁾، فإن فعل الكون يدل على أنَّ الصفة راسخة في الموصوف رسوخاً وجودياً.

سِرُّ تخصيص الاستعاذة بالتقوى:

التَّقِيُّ ذو نُهْيَةٍ
يخاف الله تعالى

ذكر النظم الجليل أنَّ مريم ﷺ خَصَّتْ استعاذتها بصفة التقوى، في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ دون غيرها؛ لأنَّ غير المتقي لن يبالى بالاستعاذة⁽²⁾، فكان اعتمادها على النجاة منه - بعد ثقتها بالله تعالى - أن يكون هو مَن يتقون الله، ويبالون بالمستجير به، كما أنَّ مقام الخلوة بين مَن ظننته بشرياً وفتاة مُنفردة عن النَّاس، إنما يُحتاج فيه إلى استدعاء صفة التقوى؛ لتكون الاستعاذة نافعة معه، "أي: إنَّ كان يُرجى منك أن تتقي الله، فإنني عائذة به منك"⁽³⁾؛ لأنَّ المتقي إنما يكون ذو نُهْيَةٍ إذا ذَكَرَ بالله؛ لذلك كانت استعاذتها بالرحمن، ويمكن أن يدلَّ هذا التعبير على أنَّ الاستعاذة من غير التَّقِي تكون من باب أولى⁽⁴⁾.

سِرُّ حذف جواب الشرط لقوله: ﴿إِنْ كُنْتَ﴾:

لدلالة السياق
عليه

حذف النظم الجليل جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾؛ ثقةً بدلالة السياق عليه، أي: إن كنت تقياً وتخاف الله تعالى، فإنني عائذة به، فلا تتعرض لي⁽⁵⁾، وإنَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 81 / 16.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 260 / 5.

(3) التفسير، مدارك التنزيل: 330 / 2.

(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 207 / 12.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 260 / 5.

التَّعْبِيرُ أَثْنَاءَ دَهَمٍ مَا يُتَوَقَّعُ ضَرَرُهُ وَيُخَافُ مِنْهُ، أَدْعَى أَنْ يَكُونَ بِإِيجَازٍ وَعَجَلَةٍ تَقْتَضِيهَا الْحَالَةُ وَالضَّرُورَةُ، فَلَيْسَ الْمَقَامُ مَقَامَ تَفْصِيلٍ.

❖ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

أَعُوذُ وَالْوُدُّ:

الْعَوْدُ الْإِلْتِجَاءُ إِلَى الشَّيْءِ⁽¹⁾، فَهُوَ الْإِلْتِجَاءُ إِلَى آخِرِ وَالتَّلَقُّقُ بِهِ، يُقَالُ: عَادَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَعَآذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: 79]، أَي: نَلْتَجِئُ إِلَيْهِ، وَنَسْتَصِرُّ بِهِ أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ⁽²⁾.

الْعَوْدُ التَّجَاءُ
لِلتَّجَرُّدِ، وَالْوُدُّ
تَسْتَرٌّ لِّلْاحْتِمَاءِ

أَمَّا الْوُدُّ فَيَدُلُّ عَلَى إِطَاقَةِ الْإِنْسَانِ بِالشَّيْءِ، مُسْتَعِيدًا بِهِ وَمُسْتَسْتَرًّا، وَذَلِكَ إِذَا عَادَ بِهِ مِنْ خَوْفٍ أَوْ طَمَعٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمُ لِوَإْدًا﴾ [النور: 63]، وَكَانَ الْمُنَافِقُونَ إِذَا أَرَادَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ مُفَارَقَةَ مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لاذَّ بغيرِهِ مُتَسْتَرًّا ثُمَّ نَهَضَ⁽³⁾، أَي: يَسْتَتِرُونَ فَيَلْتَجِئُونَ بِغَيْرِهِمْ، فَيَمْضُونَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ⁽⁴⁾، فَيُلْحِظُ أَنَّ الْعَوْدَ لَا يُشْتَرَطُ فِيهِ الْخَوْفُ، بَلِ التَّجَرُّدُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَالْإِلْتِجَاءُ إِلَى زُكْنٍ شَدِيدٍ، كَالْتِجَاءِ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَمَّا الْوُدُّ فَهُوَ تَسْتَرٌّ مِنْ شَيْءٍ يُخَافُ مِنْهُ، وَفِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَبَّرَ بِالْعَوْدِ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَطْلُبِ التَّسْتَرَّ، بَلِ لَجَأَتْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مُتَجَرِّدَةً مِنْ حَوْلِهَا وَقُوَّتِهَا.

(1) ابن فارس، معاني اللغات: (عوذ).

(2) الزاغب، المفردات: (عوذ).

(3) ابن فارس، معاني اللغات: (لود).

(4) الزاغب، المفردات: (لود).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 31، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-73-0

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 31: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-73-0

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»